# إعداد الباحث العلمي بين الإبتكار والتقليد

أ.د. محمد زكي محمد خضر
الجامعة الأردنية

١- تمهيد...

إن الغالبية العظمى من القابليات العلمية التي تعمل في الأقطار النامية، تعيش في دوامة المشاكل التي تعاني منها هذه الأقطار دون أن يقدموا للعالم الحديث شيئاً مذكوراً. فالغالبية العظمى من هذه الأقطار اليوم عالة على المجتمعات الغربية في مأكلها وملبسها وحاجياتها الإستهلاكية وغير ذلك من مناحي حياتها.

وليس هناك من شك في أن الإمكانيات العقلية للباحث في العالمين العربي والإسلامي وفي الأقطار النامية عموماً، لا تختلف عن مثيلاتها لغيرهم من الباحثين، وليس أدل على ذلك من تفوق وبروز الكثيرين من العلماء في هذه الأقطار في المؤسسات البحثية القائمة في العالم الغربي من جامعات أو مراكز أبحاث متقدمة. إلا أن الباحث في هذه الأقطار ما إن يعود إلى وطنه حتى تبدأ قابلياته بالضمور، وينضب إنتاجه في ضوء غياب المؤسسات البحثية الرصينة، والإهمال الصارخ الذي يعاني منه البحث العلمي في بلده.

وفي الوقت الذي بدأت بعض الأقطار بتوجيه اهتمام لا بأس به إلى مناحي البحث العلمي بتأسيس مراكز للبحث العلمي وغيرها، نجدها لا تصبر على قطف ثمار أبحاثها وتريد من تلك المراكز أن تؤتي أُكُلها بين عشية وضحاها. وما إن تجد بطءاً في إنتاج هذه المراكز حتى تدير لها ظهرها، وتسلط عليها المضايقات، وتقليص النفقات بل والإغلاق أحياناً. فكيف يمكن أن يبنى التراث العلمي في ظروف مثل هذه؟ خاصة وأن مراكز الأبحاث الغربية تقدم لأمثال هؤلاء الباحثين المغريات والتسهيلات لترك أوطانهم والإلتحاق بها، وبذلك تجد الآلاف منهم الذين يجدون في ظروف أوطانهم التي ذكرنا مبررا للحاق بتلك المراكز الغربية، حيث يجدون فيها ما يحقق طموحاتهم العلمية والمادية معاً.

أما العاملون الباقون في مراكز البحث العلمي في الأقطار النامية على قلتهم فيشكون من عدم وصول المشاكل العلمية إليهم، بل وإن حلها يتم بقرارات غير مدروسة من قبل إداريين لا كفاءة لهم، وبذلك يزداد الحاجز النفسي والعلمي بينهم وبين الجهات المستفيدة من الأبحاث، فغالباً ما تكون تلك الجهات غير قادرة على صياغة مشاكلها بطريقة مفهومة من الباحثين، بل وإن الجهات التطبيقية تخشى من انكشاف ضعف طاقاتها عند عرض مشاكلها على الباحثين

من خارج مؤسساتها. ويتردد الباحثون في الإتصال بتلك الجهات، وهم أهل العلم والشهادات.. وهكذا تدخل المشكلة في حلقات مفرغة، فحواها من يبدأ أولاً؟! الباحثون يبحثون عن الأبحاث التي يستطيعون حلها، أم الجهات الإنتاجية تبحث عمن يستطيع مساعدتها. وغالبا لا تثق بالخبرات التي يتمتع بها الباحثون والسرعة التي يعملون بها، لذلك لا تعرض المشاكل عليهم بل يتم البت فيها بأساليب أخرى غير علمية عادة.. وتضيع الأموال والجهود والخبرات إلى أن تقع مرة أخرى في أيدي الجهات والشركات الأجنبية التي تستخدم الوسائل المشروعة وغير المشروعة في تقديم الحلول والخبرات العلمية تارة (والخادعة تارة أخرى) التي غالبا ما تقبلها المؤسسات الإنتاجية برحابة صدر، ولا ترضى للمؤسسات البحثية والإستشارية الوطنية عشر معشار ما تقدمه سخية للجهات الأجنبية. هذا في الوقت الذي نجد فيه الشركات الأجنبية تبحث عن ذوي الكفاءات من الأقطار النامية لاستخدامهم في البحث في مشاكل بلادهم فهم أفضل من غيرهم في تقديم الحلول لها وتخطيط تنمية بلادهم أو بلاد أخرى ذات ظروف مشابهة.

## ٢- الباحث العلمي في الأقطار الصناعية..

يحتل الباحث العلمي في الأقطار الصناعية مكانة مرموقة، فالتخطيط يخضع للبحث العلمي، والإختراعات والتقدم العلمي هو نتيجة البحث العلمي.. والتقدم الإقتصادي هو نتيجة البحث العلمي.. حتى الفنون والعلاقات الإجتماعية تخضع للبحث العلمي، الذي يقدم الحلول العلمية لمشاكل المجتمع وبشكل يتناسب مع متطلبات المجتمع وفق المعايير والنظرة الغربية، فالفلسفة والنظرة في الحضارة الغربية نحو الكون والإنسان والحياة وما يتعلق بها هو الدليل للباحث ومن ثم يصوغ عمله ونشاطه لما يحقق المزيد من التقدم، خدمة لتلك الفلسفة والنظرة إلى الحياة.

وهكذا فإن الباحث ومراكز الأبحاث والجهات المخططة للأبحاث في الحضارة الغربية، تكون منظومة حساسة تبحث متطلبات المجتمع ومن ثم تبحث عن الحلول لما يصادف المجتمع من مشاكل. وقد أفسح المجال له لكي يعرض على قيادات وأفراد المجتمع نتائج تلك الأبحاث لكي يتقرر أخيراً درجة أهمية الأخذ بتلك الحلول من عدمه. وهكذا فقد تم توفير الحرية الكافيةوالحماية للباحث من جهة والديمقراطية من جهة أخرى بشأن نقد وتقييم النتائج العلمية على الأقل من قبل المختصين أو الذين يعنيهم الأمر. ولا نقول بأن هناك حياداً مطلقاً تجاه المنتاج العلمي ولكن هناك حياداً لا بأس به تجاه الباحثين وآرائهم ما لم تصطدم مع عقائد ومصالح السواد الأعظم من المجتمع أو الجهات المتنفذة فيه (بمجموعات الضغوط في المجتمع الغربي). إن مراكز الأبحاث والتراث البحثي العلمي قد استغرقا قرونا حتى وصلا إلى ما هما

عليه في الغرب لذلك فإن الباحث يجد مهمته يسيرة نوعا ما لأن الظروف حوله هي التي توفر له الوسائل والطرائق للتقدم في بحثه. وحتى في حالة كون المركز البحثي غير موجود أصلاً وعليه أن يبنيه فإن بناءه لا يبدأ من فراغ، فهناك الكثير من الأمثلة السابقة وما حوله يساعده ويدعمه في تحقيق واجباته، بخلاف الوضع الذي عليه الحال في الأقطار العربية والإسلامية بل والنامية عموماً، إذ على الباحث أن يسبح عكس التيار، وأن يبدأ من فراغ مطلق، وأن يصنع كل ما حوله من ظروف لكي يسير نحو هدفه.

إن مستوى الإبتكار المطلوب من الباحث الغربي في ضوء الظروف التي يعيشها أقل من مستوى الإبتكار المطلوب من الباحث العربي في وطنه، فالأخير يحتاج إلى مواءمة فريدة ورائدة بين ظروف صعبة بل ومتناقضة بعضها يهدم بعضا لكي يخرج من خلالها بعمل وإنتاج ملموس في ضوء مدة زمنية لا يصبر المجتمع على إعطاء المزيد منها خاصة لمن لم يستغلها استغلالاً أمثل، ولا تسمح له أن يجرب فيخطئ. وهكذا نجد الباحث العربي الناجح في المؤسسات البحثية الغربية حين يعود لوطنه ومعه كل الخبرات التي اكتسبها هناك.. نجده يفشل في وطنه غالباً لا لشيء سوى أنه لا يجد الظروف السهلة الميسرة المحيطة بالبحث العلمي في بلده، بل يجد كل العقبات والتناقضات من حوله، وهو ليس مهيئاً لحل مثل هذه الإشكالات التي تحتاج إلى ابتكار من نوع آخر ودراية بأمور بلده لم يكتسب الخبرة فيها. وهكذا يفشل هذا الباحث في إيجاد الحلول لما يحتاج مجتمعه، فتلجأ الغالبية العظمى منهم في إكمال ما بدأوه من أبحاث في الغرب عند دراستهم لنيل شهاداتهم العليا مما لا يجد تطبيقاً في مجتمعاتهم إلا القليل، والكثير مما لا تلح الحاجة للبحث فيه.

أما الشركات الأجنبية الإستشارية، فقد هيأ لها العالم المتخلف حقول تجارب لإكسابها خبرة رائدة تستعملها في أماكن أخرى من العالم.. فإذا ما قامت بتجربة ما وفشلت قلما يسمى ذلك فشلا بل هو نجاح ليس وراءه نجاح أو يغض عنه الطرف.. وإذا ما انكشفت حقيقة ذلك،فالسبب يعود للبلد المتخلف وليس للشركة أو الباحث الغربي.. وهكذا فإن تخلف البلدان النامية يزيد من إكساب الغرب خبرة وسيطرة ونفوذا.

وثمة أمر آخر، هو الحصول على المعلومات، فالباحث أو الخبير الأجنبي تقدم له كل المعلومات التي يحتاجها والتي لا يحتاجها، أما الباحث الوطني فالحصول على المعلومات عليه حرام في كثير من الأقطار النامية، فمن أين يأتي بالحلول لمشاكل لا يعلم عما يحيط بها من أمور شيئا؟ وكيف ترجو مشورة من لم يملك خبرة ولا يسمح له أن يكتسب خبرة؟ .. وهكذا نستنتج أن تقليد الباحث العربي للباحث الغربي لا يجدي نفعا فإن عليه أن يبتكر الكثير في ضوء ما يحيط به من ظروف في مجتمعه، وبذلك يحتاج إلى درجة عالية من الإبتكار.

## ٣- الباحث العلمي في التراث العربي الإسلامي:

سوف نلقي الضوء على مكانة الباحث العلمي في الحضارة الإسلامية لعلنا نجد فيها ما يساعدنا في تلمس طريقنا في المستقبل.

لم تكن العلوم الطبيعية في الحضارة الإسلامية منفصلة عن العلوم الإنسانية والدينية، لذلك نجد العالم الفلكي أو الرياضي هو مؤرخ وعالم بالفقه واللغة من جهة أخرى. وعلى هذا فإن مناقشتنا هذه عن البحث العلمي في الحضارة الإسلامية لا يمكن حصرها في العلوم التقنية والطبيعيةبل ينبغي أن تشكل كافة جوانب الحضارة الإسلامية المترابطة.

لقد كان الباحث في الحضارة الإسلامية، عالما أو شاعرا أو فقيها أو فلكيا أو رياضيا مدركا لواقع الحياة العلمية في مجتمعه ومطلعا بل ومترابطا ومرتبطا بالنتاج العلمي لأقرانه ومن سبقوه من الباحثين والعلماء. لقد كان من أهم ما يمتاز به العلماء العرب والمسلمون الشمول والصدق والدقة والقناعة والزهد والصبر.. ولم يكونوا يلهثون وراء المكاسب المادية إلا ما ندر.. وكانت الغالبية العظمى منهم تبحث وتكد وتجتهد ابتغاء وجه الله، فقد عرفوا البحث العلمي وطلب العلم بكل فروعه التي تخدم الأمة.. عرفوه عبادة وجهادا، مهتدين بهدي القرآن الكريم في حثه على استعمال العقل (..أفلا يتدبرون، ..أفلا يعقلون، قل انظروا ماذا في السموات والأرض..، قل سيروا في الأرض فانظروا..، أولم يتفكروا، أولم ير الإنسان أنا خلقناه..، أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز..، أولا يرون أنا نأتي الأرض..، وعلّمناه صنعة لبوس لكم..، علّم الإنسان ما لم يعلم..، إنما يخشى الله من عباده العلماء..، ..وفي أنفسكم أفلا تبصرون).

وهكذا نجد العلماء العرب والمسلمين تشدهم إلى عملهم ونتاجهم، روح وشعور يتسامى عن المادة ويناوئ بأنفسهم أن يقعوا في حبال الشهرة والجاه والمنصب والمكانة الإجتماعية وغيرها من الأمور المعنوية التي يحرص عليها علماء الغرب اليوم والتي تعتبر جزءاً من المكافأة الدنيوية لهم من قبل مجتمعاتهم.

إن البحث وطلب الباحثين وطلب العلم من الباحثين العرب والمسلمين كان في عامته عملا من الأعمال المرتبطة بالعبادة ورضوان الله تعالى عليهم وفي ذلك يقول الإمام الغزالي الذي أرسلته أمه في صغره إلى المسجد يطلب العلم لكي يحصل على مهنة يعيش منها، يقول: "إبتغينا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله".. وهذا ينطبق على مئات بل آلاف من العلماء المسلمين الذين كانوا لا يجدون ما يقيمون أودهم وأود عائلاتهم إن كان لهم عوائل إلا من نسخ الكتب أو بيعها أو أعمال يدوية بسيطة، ولم يكونوا يبحثون قط عن شهرة أو جاه أو سلطان، بل كان أغلبهم يتحاشون الإختلاط مع السلاطين والأمراء خوفاً على دينهم من أن يعاب بأذى.

واليوم تلاقي الدعوة إلى العودة إلى تراث الأمة استحساناً لدى الكثير من مخلصي الأمة. إلا أن التقليد المحض لما هو في طبيعته جهداً بشرياً بذل فيه مبتكروه جهدهم لكي يصلح لعصورهم لا يستدعي بالضرورة صلاحه لعصور أخرى.

إن استنهاض الأمة بتقليد أولئك السلف يكون بتقليدهم في خصالهم التي مرت من جهة، وابتكار الأساليب والوسائل التي تجمع بين تلك المثل والتقاليد التي حملوها وما يجابه المجتمع اليوم في ضوء الحضارة الحاضرة.

إن التحدي الكبير الذي يعاني منه الباحثون العرب والمسلمون اليوم، يكمن في الإبتكار للجمع بين التراث وروح العصر وهذه مهمة ليست باليسيرة كما يتراءى لأول وهلة.

## ٤- مزايا الباحث العلمي الذي نحتاج:

من هو الباحث العلمي الذي نحتاج؟؟ ليس هو الموظف في مؤسسة مكتوب على بابها مركز بحث كذا أو مؤسسة بحث كيت.. الباحث هو الرائد الذي لا يكذب أهله والدليل لهم في ظلمات الجهل والتخلف. فالمفكر باحث، والصحفي النشط باحث، والكاتب باحث، والمؤرخ باحث.. لذلك فإن الباحث الأمين يجب أن يتسم بالصدق والإصرار على الوصول إلى حلول للمشاكل التي يبحث فيها.. لهذا فإن مواصفات البحث تشمل لا محالة الجانبين المترابطين: الجانب الفني والجانب الأخلاقي.

في الجانب الفني.. يجب أن يكون الباحث مطلعاً على كل جوانب المشكلة التي يبحث عن حل لها، فهو بذلك بحاجة إلى المصادر الوثائقية والأدوات المختبرية والإتصالات الحديثة لكي لا يبذل جهوداً في حل مشاكل قد تم حلها في مكان آخر، وأن يعرف ما يرتبط بالمشكلة التي يدرسها من أمور، لذلك فإن الباحث يجب أن يتصف بمؤهلات فنية ذات علاقة بموضوع بحثه وأن يكون حريصاً أشد الحرص على الوصول إلى نتائج مفيدة وأن لا يدخر جهداً في سبيل تحقيق تلك الغاية.

أما في الإتجاه الأخلاقي.. فإن الباحث يجب أن يتصف بالصدق مع نفسه ومع من أئتمنه على أداء تلك الأمانة وأن يقوم بواجبه على أكمل وجه، وان لا تقف العقبات المادية الشخصية حائلاً دون أدائه لعلمه، ليس المقصود من ذلك أن يزهد الباحث في الدنيا ولا يهتم بحاجاته المادية ولكن عليه أن لا يقيم أية علاقة مباشرة بين المكافأة أو الراتب وبين نزاهة العمل البحثي ودقته وأصالته، فليس الموضوع موضوع بيع وشراء وعقد وتعاقد إن أخل أحد الطرفين بجزء من العقد كان الثاني في حل من الإلتزام (من وجهة نظره) فليس الأمر كذلك ولن تتقدم أمة روادها بهذه العقلية.

واليوم تلاقي الدعوة إلى العودة إلى تراث الأمة استحساناً لدى الكثير من مخلصي الأمة. إلا أن التقليد المحض لما هو في طبيعته جهداً بشرياً بذل فيه مبتكروه جهدهم لكي يصلح لعصورهم لا يستدعي بالضرورة صلاحه لعصور أخرى.

إن استنهاض الأمة بتقليد أولئك السلف يكون بتقليدهم في خصالهم التي مرت من جهة، وابتكار الأساليب والوسائل التي تجمع بين تلك المثل والتقاليد التي حملوها وما يجابه المجتمع اليوم في ضوء الحضارة الحاضرة.

إن التحدي الكبير الذي يعاني منه الباحثون العرب والمسلمون اليوم، يكمن في الإبتكار للجمع بين التراث وروح العصر وهذه مهمة ليست باليسيرة كما يتراءى لأول وهلة.

## ٤- مزايا الباحث العلمي الذي نحتاج:

من هو الباحث العلمي الذي نحتاج؟؟ ليس هو الموظف في مؤسسة مكتوب على بابها مركز بحث كذا أو مؤسسة بحث كيت.. الباحث هو الرائد الذي لا يكذب أهله والدليل لهم في ظلمات الجهل والتخلف. فالمفكر باحث، والصحفي النشط باحث، والكاتب باحث، والمؤرخ باحث.. لذلك فإن الباحث الأمين يجب أن يتسم بالصدق والإصرار على الوصول إلى حلول للمشاكل التي يبحث فيها.. لهذا فإن مواصفات البحث تشمل لا محالة الجانبين المترابطين: الجانب الفني والجانب الأخلاقي.

في الجانب الفني.. يجب أن يكون الباحث مطلعاً على كل جوانب المشكلة التي يبحث عن حل لها، فهو بذلك بحاجة إلى المصادر الوثائقية والأدوات المختبرية والإتصالات الحديثة لكي لا يبذل جهوداً في حل مشاكل قد تم حلها في مكان آخر، وأن يعرف ما يرتبط بالمشكلة التي يدرسها من أمور، لذلك فإن الباحث يجب أن يتصف بمؤهلات فنية ذات علاقة بموضوع بحثه وأن يكون حريصاً أشد الحرص على الوصول إلى نتائج مفيدة وأن لا يدخر جهداً في سبيل تحقيق تلك الغاية.

أما في الإتجاه الأخلاقي.. فإن الباحث يجب أن يتصف بالصدق مع نفسه ومع من أئتمنه على أداء تلك الأمانة وأن يقوم بواجبه على أكمل وجه، وان لا تقف العقبات المادية الشخصية حائلاً دون أدائه لعلمه، ليس المقصود من ذلك أن يزهد الباحث في الدنيا ولا يهتم بحاجاته المادية ولكن عليه أن لا يقيم أية علاقة مباشرة بين المكافأة أو الراتب وبين نزاهة العمل البحثي ودقته وأصالته، فليس الموضوع موضوع بيع وشراء وعقد وتعاقد إن أخل أحد الطرفين بجزء من العقد كان الثاني في حل من الإلتزام (من وجهة نظره) فليس الأمر كذلك ولن تتقدم أمة روادها بهذه العقلية.

إن الموضوع هو موضوع جهاد، فالباحث يجب أن يكون مجاهداً ضد الله تعالى على أداء واجبه سواء وفّى العباد بدفع مكافآتهم له أم لا... أما إن لم يكن كذلك فهو أجير يقوم بأداء عمل معين وليس رائداً. والفرق بين الرائد والأجير كبير. والحق أننا لن ولن نصل إلى وضع يكون فيه كل الباحثين مخلصين، فلا بد وأن يبقى أجراء.. ولكن تقدم البحث الحقيقي أن يقع على عاتق الأحرار لا المخلصين، وربما لم يكن المخلصون هم العالمية أو أن يبلغهم زمام البحث، فلن يكون لأعمالنا تقدم يذكر. إن بين المواصفات الفنية والأخلاقية مواصفات لا بد منها لمن يتقدم لكي ينال تسمية الباحث، فعليه أن يجبر نفسه على صفات يلتزم بها إلتزاما. عليه أن يكون صبوراً واقعياً للظروف المحيطة يبحث مواضيعاً إذا ما حقق نتائج باهرة، منظماً في عمله لا تشوش على تفكيره طلبات أو اضطرابات العالم من حوله رغم أن عليه أن يعيش همومه ويساهم في حلها وأن يستغل كل ما يتوفر له من خدمات وحاجيات بأفضل وجه حتى وإن كانت يسيرة فلا يسرف في حفظيات فوق طاقة المصادر المتوفرة، وأن يعولي أقصى اهتمام للتعامل مع البشر من حوله من مساعدين وباحثين آخرين وذوي علاقة، ولا يتعالى على من هو دونه علماً ومعرفة ولا يسفه رأياً مهما كان ساذجاً فربّ حكمة تم الوصول إليها من فم جاهل.

## ب- توجيهات نحو تكوين الباحث العلمي الكفوء.

إن مناقشة أسلوب تكوين الباحث تبدأ من الخطوات الأولى في تربية وتعليم الأطفال وتوجيههم نحو الإبتكار وإبراز نواحي المواهب الخاصة وتنمية تلك المواهب، ومن ثم توجيه الموهوبين نحو مواهبهم إضافة إلى تربيتهم الأخلاقية والنفسية لكي يكونوا أفراداً أسوياء يستطيعون التعامل مع المجتمع بإتزان وواقعية.

إن موضوع تنمية قابلية الإبتكار لدى الأطفال بصورة عامة والموهوبين منهم بصورة خاصة هي من العناصر الهامة الواجبة إلى تكوين باحثين في مختلف مناحي الحياة.

في دور الحضانة والمدارس والمراكز المتخصصة، فإن هناك ضرورة لإيلاء تنمية قابليات الباحث العلمية لتصبح قابليته على الإبتكار موجهة يمكن تنميتها، ومن ضمن ذلك تنمية قابلية التذكر وحدة الملاحظة والمواهب الرياضية والأساليب العلمية للتحليل والإستنتاج والجوانب المتعلقة بالإحصاء واستخدام الآلات الحاسبة والبرمجيات الحديثة المساعدة وغير ذلك من الأساليب العلمية المساعدة.

أما في مجال التخصص، فإن المشاركة في الحلقات الدراسية وبحوث البحث والمجلات العلمية وإثراء الأبحاث وتقييمها ودراسة الأبحاث والمناقشات العلمية وغير ذلك من

الأمور التخصصية الدقيقة والعامة، تؤدي إلى تنمية قابليات الباحث ورفع كفاءته في حقل تخصصه.

أما الجوانب الأخلاقية والنفسية والإجتماعية فيمكن تنميتها هي الأخرى بالمناقشات الصريحة والمحاضرات العامة والقدوة الحسنة ممن هو أكثر علماً وأكبر سناً.

إن أسلوب العمل الجماعي في الحضارة الإسلامية كان يتم بعلاقة وثيقة بين الشيخ وطلبته، ونجده في بعض المؤسسات البحثية الغربية حيث يلتف عدد من مساعدي الباحث والباحثين حول باحث قدير، وتكون من أقصى أمانيهم أن يقترن اسم أحدهم باسم ذلك الباحث القدير والعالم المشهور.

إن هذا الأسلوب هو ما نحتاجه في مؤسساتنا البحثية سواء في الجانب العلمي أو في الجانب الأخلاقي..فالباحث القدير يجب أن يكون مربياً وموجهاً وعالماً ومن ثم يلتف حوله طلبته ومساعدوه لا ليتعلموا حقائق علمية وخبرة فحسب، بل وأساليب تعامل وحكمة وأخلاق أيضاً.

إن على الباحث في بلادنا مهام خاصة قد لا يستدعي توافرها للباحث في ديار الغرب، فمستوى الإخلاص العادي يكاد يكون كافياً في الغرب، أما لدينا فإن ذلك لا يكفي هنا حيث يجب أن يتميز الباحث في إخلاصه وهذا الذي يتساوى بالمجاهد.. وعليه أن يكون حساساً لمتطلبات التنمية التي يحتاجها وطنه، وأن يكون رد فعله المزيد من الحرص والمثابرة، والحق يقال أن هناك الكثير من المثبطات المحيطة بالباحثين العرب والمسلمين، ومن تلك سوء الإدارة والتقلبات السياسية العنيفة والمشاكل الإقتصادية وغيرها.. في حين يحتاج الباحث إلى الإستقرار الفكري والنفسي المشجع على البحث والإبتكار وهذا لا يتأتى إلا بالإرادة القوية والحرص على التغلب على المثبطات مهما كان نوعها ومصدرها.

إن القلق بشكل عام (بسبب الظروف المحيطة)، هو عامل سيء يؤدي إلى تدهور القابلية على الإبتكار والعطاء.. إلا أن حسن استغلال الظروف في حالة القلق يمكن أن يعكس الواقع ويؤدي إلى طفرات وقفزات لا يمكن الحصول عليها في ظروف عادية.. فالخوف من الفناء أو ظروف الخطر الجسيم كالحروب والحصار والمقاطعة وغيرها يمكن أن تكون حافزاً لقفزات لا يمكن الوصول إليها اعتيادياً في ظروف السلم أو الرفاه.. ولقد علمنا التاريخ أن القفزات النوعية الهائلة لا تأتي إلا في ظروف صعبة.. أما التحسينات والتطويرات فيمكن أن تأتي في ظروف الرخاء والراحة.

لذلك فإن ظروف الأمة الصعبة والمصيرية اليوم يمكن أن تؤدي إلى قفزة هائلة إذا أعد لها حكماء الأمة العدة في كل مناحي الحياة.. أو إلى نكبة هائلة لا سمح الله، إذا ما نكص أولئك أو فرطوا في واجبهم في هذه الحقبة الحرجة من تاريخ الأمة.

## ٦- الإبتكار في اختيار الأبحاث..

إن تأسيس مراكز الأبحاث ومواضيع الأبحاث وتنظيم عملية البحث كل ذلك يحتاج إلى ابتكار، فليس مفيداً أن ننشيء مركزاً للبحث مماثلاً لما هو منشأ في مكان آخر إلا أن يعد لذلك منفعة خاصة. وليس مفيداً أن يقوم ذلك المركز بما يقترحه غير أخصائي أو أن يجري ما يتم في مركز آخر.. فالإبتكار ضروري في إنشاء مراكز الأبحاث وفي اختيار مواضيع الأبحاث وفي تنظيم عملية البحث ولذلك فإن العاملين في عملية البحث يجب أن يكونوا على درجة من قابلية الإبتكار لكي تكون نتائج الأبحاث مفيدة.

إن أهم ما يجب أن نتخلص منه هو فكرة وجود طريق واحد لتقدمنا ألا وهو السير على الخطى التي سار عليها الغرب للوصول إلى بعض ما وصلوا إليه. إن معرفة ما قام به ويقوم به الباحثون الغربيون أمر ضروري لكن السير على نهجهم وتقليدهم في كل صغيرة وكبيرة هو الخطر الذي يتهددنا.. إن تقليد المغلوب للغالب هو سنة إجتماعية كتب عنها ابن خلدون قبل قرون.. لكن عدم انقيادنا لتلك السنة ومحاولة الإبتكار بدل التقليد هو الأساس لإحياء حضارتنا وتأكيد استقلالنا وهذا الإبتكار بالتأكيد أصعب كثيراً من التقليد والأخذ بالنهج المنظور أمامنا.

وثمة أمر آخر هو أن الغرب نفسه لن يسمح لنا بأن نسير في الدرب الذي سار فيه فعلياً، فنصل إلى ما وصل إليه في كل المجالات حتى ولو وصلنا متأخرين.. فهناك مجالات محرم علينا الولوج فيها، وهناك مجالات محيد لنا الدخول إليها، فهل علينا أن نتقفد ما يملى علينا أم هناك طريق آخر علينا أن نسلكه؟

وهنا يجب أن نسأل أين الأبحاث النابعة من حاجة الأمة فعلياً؟ وكيف نبحث عن مواضيعها؟ وكيف ننظم عملية البحث؟

إن الإبتكار في ذلك هو الأساس ولذلك فنحن بحاجة إلى البحث أولاً في ذلك قبل أن نقوم بعملية البحث نفسها. إن علينا اقتراح مواضيع أبحاث لطلبتنا في الداخل والخارج، أثناء قيامهم بنيل شهادتهم العليا، وعلينا أن نجيب عن كل الأسئلة التي تطرح في مثل هذه الندوة لا بأجوبة مرتجلة ولكن بدراسات وأبحاث لكل فقرة أو فكرة تطرح فيها.